الفصل الثاني

الرسول والمسيحيون

حاجة العالم إلى الإسلام

الدين بمعناه اللغوي هو الطاعة والانقياد ، والتدين هو الرضوخ والدينوية لعقيدة ، والدين بمعناه العام هو ناموس أبدي مطلق ، كامنة بذوره في كل نفس حية واعية ، وأساسه وحدة الخالق وخلـود الـنفس والحـب ، وتنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، والإيمان بالبعث والحساب والثواب والعقاب .

والإنسان لا يمكنه أن يعيش بدون عقيدة سامية ، فالعقيـدة مـن مقومات إنسانيته وارتفاعه عن مستوى الغرائز الحيوانية ، والحضارة فـي كل عصر منبعها الأول الدين ، ولا يمكن أن تقوم نهضة اجتماعية إلا على أسس دينية .

والإسلام دين يتجه إلى العقل ، ويوافق الميول الطبيعيـة فـي الإنسان وهو أول دعوة عالمية ، توفر المقومات لتعاون إنساني عـالمي ، وتحقق الانسجام البشري ، والإسلام هو صمام الأمن والسلام لحياة الإنسان الروحية والمادية .ويجد الإنسان في الإسلام من المرونة ومجابهـة الواقـع ومن الوعي الحقيقي الكامل للطبيعة البشرية ومطالب الحياة ، ما لا يجده في غيره من الأديان أو النظريات الوضعية .

وأثبت النظام الإسلامي الاجتماعي أنه النظام العـالمي الوحيـد الثابت ..وفي التعاليم الإسلامية نجد أسـس عـلاج المـشاكل الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية التي تعانى البشرية، والتعاليم الإسلامية ، وحضارتها ونظمها ، تقوم على أساسين رئيسيين ، أساس روحي أو عـاطفي وأسـاس عقلي أو منطقي .وقد جعل الإسلام العقل حكما في كـل شـيء ،والـنظم الإسلامية تستند إلى العقل .ويكفل الإسلام للجميع الـسعادة فـي حيـاتهم ، ويضمن لهم التكافؤ الاجتماعي ، والعدالة الاجتماعية .

تحدث المؤرخ (فاليرى) عما امتاز به الإسلام عن غيره مـن الأديان مما أدى إلى سرعة انتشاره فقال : فرضت الأديان على من يدينون بها معتقدات ثقيلة يصعب القيام بأعبائها لبعدها عن مدى الأفهام ، على حين كان الإسلام عجيبًا في سهولته صريحًا في فروضه، وهذا كان سـببًا فـي سرعة انتشاره بين الشعوب التي اضطربت نتيجة ما أصـابها مـن الـشك المضني في عقائدها الدينية ، وهذا أيضًا كان ولا يزال السبب في انتـشاره المتواصل بين الأمم في آسيا وافريقية لنفوذه إلى أرواحهم ،دون الحاجة إلى التطويل في شرحه ، والتلطف في الدعاية له .

وقال (ليودوروش) : ان الإسلام دين إنساني طبيعـي اقتـصادي أدبي ، ولم أذكر شيئا من قوانينا الطبيعية الوضعية إلا وجدته مشروعًا فيـه وبحثت عن تأثير الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرمًا ، بل وجدت هذه النفوس على مثال مـا يحلـم بـه الفلاسفة من حب الخير والرحمة والمعروف .وقال (جان مليا) : الإسـلام دين سماوي ، وهو دين حب وعاطفة وشرف ، وأكثر الأديان تساهلاً [٢٥]

(٢٥) انظر كتاب الإسلام والحضارة العربية لكرد علي

كانت أحوال الدولتين الفارسية والرومانية البيزنطية وقـت ظهـور الإسلام سيئة للغاية .

أما الفرس ، فقد ظهرت دولة الفرس الساسانية سنة ٢٢٦ م على يد أزدسبر بن بابك الذي اتخذ المدائن عاصمة له ، وقد عظمت دولته فـشملت العراق وما يجاوره من بلاد العرب وجميع بلاد العجم ، وما زالوا يتوارثون ملكه حتى تولى كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩ م) وفي أيامه ولد الرسول ﷺ.وقد اشتبك مع الرومان في حروب طويلة انتصر في نهايتها ، لانـشغال خصمه جستيان في فتوحاته في ايطاليا وشمال افريقيـة . وقـد اسـتمرت الحرب متقطعة بين الدولتين أيام خليفته هرمز ، ثم كسرى أبرويـز الـذي اكتسح سوريا وفلسطين وآسيا الصغرى حتى وصل إلـى البـسفور سـنة ٦٠٨ م ، فعجز ملك الروم عن صده فخلعه الأهالي واستدعوا هرقل حـاكم افريقية وولوه مكانه . ورغم حنكته استمرت انتصارات أبرويـز الـساحقة ،فاحتل دمشق سنة ٦١٣ م والقدس سنة ٦١٤ م واحتل مصر سـنة ٦١٦ م وصل ثانية قرب القسطنطينية سنة ٦٧١ م ، فاضطر هرقـل إلـى طلـب الصلح فرفض أبرويز ، وأثار هرقل حماسة رجال الدين فـآزروه بـأموال الكنيسة ، فجهز جيشا كثيفا ضد الفرس واسترد ما فقده .وأدت هزائم الفرس إلى ثورة شيرويه على أبيه أبرويز ثم اغتاله وعقـد الـصلح مـع هرقـل .وسادت الفوضى الدولة الفارسية ، نتيجة ضعفها وحروبها المـستمرة مـع الروم لاختلافهم في الدين وحاجة الفرس إلى ميناء علـى سـاحل البحـر المتوسط ، ومن جراء النزاع على الملك ، وبسبب ظهـور البـدع الدينيـة الهدامة مثل المانوية والمزدكية الأباحية التي أدت إلـى تـدهور الأحـوال الاجتماعية والخلقية

كانت عاصمة الروم القسطنطينية ، وشـملت الدولـة الرومانيـة الشرقية (البيزنطية) إلى جانب أملاكها في أوروبـا : آسـيا الـصغرى ، وسوريا ، وفلسطين ومصر ، و شمال افريقية . ومـن أشـهر أبـاطرتهم جستنيان الذي اشتبك مع كسرى أنوشروان ، والذي أمر نجاشـي الحبـشة بغزو اليمن وإسقاط الدولة الحميرية العربية . وقد أصاب الدولة الرومانيـة بعد موته ضعف شديد ناتج عن كثرة حروبه في العرب لاسـتعادة أمـلاك الإمبراطورية الرومانية ، وكثرة ما أنفقه على المباني ، فكانت خزانة البلاد خاوية ، وجيشها منهكًا .

وتولى على عرش الروم بعده أباطرة ضعاف اشتد في أيـامهم النزاع على المُلك ، وتمردت الجند المرتزقة مما أدى إلى انتصار الفـرس وظلت الحال كذلك حتى أسند العرش إلى هرقل (٦١٠- ٦٤١ م) فاسـترد هيبة الدولة وقهر الفرس ولكن كانت هناك عوامل تـؤدى إلـى اسـتمرار ضعف الدولة .فقد كانت الحروب المستمرة قد أدت إلى فراغ الخزانة وتأخر الزراعة والصناعة ، كما كانت هناك خلافات دينية حاميـة نـشبت بـين المذاهب الدينية المختلفة ، وهى مذهب الأريين ومذهب الشاطرة ، ومذهب اليعاقبة ، ومذهب الملكانيين .وكان مذهب الدولة هو المـذهب المكـاني ، واضطهدت الدولة اليعاقبة والنساطرة ، وحاولت إجبـارهم علـى اعتنـاق المذهب الملكاني مما أدى إلى نفور السكان في مصر والشام مـن الـروم واستعدادهم لمساعدة أي فاتح يخلصهم من هذا الاضطهاد الديني

لم يقبل العرب في أرجاء شبه الجزيرة العربيـة علـى اعتنـاق المسيحية رغم أنها دين سماوي أفضل من الوثنية ويرجـع هـذا إلـى أن المسيحية ارتبطت بالنفوذ السياسي الاستعماري ، الروماني والحبشي .فقـد

قضى الأحباش المسيحيون على الدولة العربية الحميرية في اليمن ، وبنـــوا كنيستهم في صنعاء ، وأرادوا هدم الكعبة وتحويل الحجاج العرب إلى كنيسة صنعاء ، كما كان البدوي العربي يميل إلى الحرية الدينية ، إلى جانب تمتعه بالحرية السياسية والاجتماعية والمكانية ، ولذا لم يرض عن القيود والأوامر والنواهي التي تفرضها المسيحية .

الرسول والراهب بحيرى :

استعد أبو طالب ، عـــم الرســـول ، للرحيـــل بقافلتـــه إلـــى بـــلاد الشام .وكان محمد قد أصبح في الثانية عشرة من عمره المبارك ، وتقدم إلى عمه يطلب منه أن يصحبه في رحلته .وكان قلب أبى طالب زاخرًا بالحـــب والعطف ، وفكر مليًّا ، فرأى أن محمدًا قد بلغ من العمر ما يسمح له بـــأن يمارس نواحي النشاط في الحياة العربية ، وأن يتمرن على خدمات وواجبات القافلة ، ولذا وافق على اصطحابه معه إلى الشام وقال : والله لأخرجن بـــه معي ، و لا يفارقني ، ولا أفارقه أبدا [٢٦] .

وصلت القافلة إلى (بصرى) على حـــدود ســـوريا قـــرب الأردن ويسكنها الآن النساطرة المسيحيون ، وكانت سوقا عظيما ترتادها القوافـــل وفي هذه المدينة توقفت القافلة ونصبت خيامها قرب دير من أديرة الرهبان النساطرة .

---

(٢٦) سيرة ابن هشام حـــ ١ ص ١٩١.

وقف العالم الراهب (بحيرى) على مقدمة دير يعلو جبل حوران يسرح الطرف في انتباه إلى سهول سوريا الشاسعة المنبسطة نحو جزيرة العرب .وفجأة استرعى نظره قطعة من الغيم بيضاء مستطيلة ، تعترض على خلاف العادة ، زرقة السماء الصافية ، وكان هذا الغيم – الذي يشبه طائرًا أبيض هائلاً – يحلق فوق قافلة صغيرة تتجه نحو الشمال ، يغمرها بظله الأزرق ، ويسير معها أنى سارت .

تحدث ابن هشام [٢٧] عن بحيرى فقال : " وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهبًا ، إليه بصر علمهم عن كتاب فيها ، يتوارثونه كابرًا عن كابر ".

كانت قوافل العرب كثيرًا ما تمر بهذا المكان ، فلا يهتم بحيرى بمرورها ، و لا يعرض لهم أو يتكلم معهم ، حتى كان ذلك العام .فلما استقرت قافلة أبى طالب على مقربة من صومعته أسلفت نظره شيء جديد .فروى ابن هشام [٢٨] : " أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته ، في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبًا منه .فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها ".

غادر بحيرى صومعته ، ثم بعث في طلب أهل القافلة وقال لهم : أني قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا

---

(٢٧) المصدر السابق .

(٢٨) سيرة ابن هشام جـ ص ١٩٤

كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم .وأبدى رجل من قريش تعجبه ، فقال لبحيرى : والله يا بحيرى إن لك لشأنًا اليوم ، فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرًا ، فما شأنك اليوم ؟! فأجاب بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلوا منه كلكم .

وقبل القرشيون ضيافة بحيرى ، واجتمعوا حول مائدة بحيرى ، وتخلف الرسول ﷺ عن المشاركة في الطعام ، ومكث في رحال القوم تحت الشجرة ، فقد كان حدث السن فلم يشأ أن يشارك شيوخ قريش مجلسهم .وجالت عينى بحيرى بين الجالسين حول مائدته ، فافتقد محمدًا الذي استضاف القافلة كلها من أجله ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى .فقالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنًا ، فتخلف في رحالهم .وأبدى بحيرى غضبه فقال : لا تفعلوا فليحضر هذا الطعام معكم .فقال رجل من قريش : واللات والعزى ، إن كان للوم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا .ثم قام هذا الرجل إلى محمد ، فاحتضنه وأجلسه مع القوم . وتفرس بحيرى بنظره في محمد ، وأخذ ينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته .حتى إذا انتهى القرشيون من تناول الطعام وتفرقوا ، قام بحيرى إلى الرسول ، وتوجه إليه بالحديث فقال : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه .

ويفسر ابن هشام [٢٨] حلف بحيرى باللات والعزى فيقول : " وإنما قال له بحيرى ذلك ، لأنه سمع قومه يحلفون بهما ". وكان محمد منذ

---

[٢٨] سيرة ابن هشام حـ ١ ص ١٩٢ .

حداثته نابذا للأوثان ، مؤمنا بالتوحيد والدين الحنيف ، فقـال مـن فـوره لبحيرى : لا تسألني باللات والعزى ، فـو الله مـا أبغـضت شـيئا قـط بغضهما .فقال له بحيرى : فبالله ألا ما أخبرتني عما أسـألك عنـه .فقـال محمد : سلني عما بدا لك .

فجعل بحيرى يسأل محمد عن أشياء من حاله فـي نومـه وهيئتـه وأموره ، وأشبع حب استطلاعه ، فأجابه على أسئلته بالصدق والحق فكـان بحيرى يبدي سروره لهذه الإجابات إذ كانت توافق " ما عند بحيـرى مـن صفته " [1] .ونظر بحيرى إلى ظهر الرسول فرأى خاتم النبوة بين كتفيه .

حتى إذا انتهى بحيرى من أسئلته وفحصه .أقبل على أبـى طالـب وقال له : ما هو ابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا .فقال أبـو طالب : فإنه ابن أخي .فسأله بحيرى : فما فعل أبوه ؟ وأجاب أبو طالـب : مات وأمه حُبلى به ، فقال بحيرى : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغتـه شـرًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فاشرع به إلى بلاده .

تقبل أبو طالب نصائح بحيرى ، فخرج بابن أخيه سريعًا حتى قـدم مكة بعد أن فرغ من تجارته بالشام ـــ وتروي بعض المصادر أن أبا طالب بعث بمحمد على عجل مع بعض غلمانه إلى مكة ، كما تروي أن الراهب زوده بكعك وزيت هدية ومؤونة للطريق .

ويروى ابن هشام [1] " أن زريرا وتماما ودريسا ، وهم نفـر مـن أهل الكتاب ، قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرى في ذلـك السفر ، الذي كان فيه مع عمه أبو طالب ، فأرادوه فردهم عنه بحيرى .

المسيحيون والتبشير بنبوة محمد :

لم يخل كتاب من الكتب السماوية قبل مبعث الرسول مـــن التبـــشير بظهور لنبي محمد .وكانت الأخبار مستفيضة فـــي الأمـــم ، ولعلهـــا مـــن الأسباب التي دعت اليهود والنصارى إلى استيطان أرض الجزيرة العربية ، التي وصفتها الأسفار المنزلة بأنها أرض النبي المنتظر [1].[29]

قال المؤرخ الهندي المسلم مولاى محمد على[30]: ذكر القرآن الكريم أن مجيء النبي أخبر به جميع من سبقه من الأنبياء ، وأنهم قطعـــوا العهـــد والميثاق على شعوبهم بقبول دعوته لمجرد ظهوره .وقـــد أبلغـــوا أقـــوامهم أن آية صدق النبي المرتقب شهادته وإقـــراره برســـالته مـــن ســـبقه مـــن الأنبياء .واقتضت إرادة الله أن تكون الرسالات الأولى على يد نبي أرســـل لهداية شعب معين ، وقتما كانت شعوب الأرض في حيـــاة معزولـــة ، لـــم تعرف بعد وسائل الاتصال الحديثة ، ولكي يستخلص مـــن الأديـــان دينًـــا واحدًا ، ويجمع العالم في إخاء عالمى واحد ، بعث الله محمـــدًا رســـولاً ، وجُعل لبشر كافة .

كان في مكة راهب مسيحي يدعى (عيص) يترقب مولد الرســـول عليه الصلاة والسلام ، وكان يقول : " تدين له العرب ، ويملـــك العجـــم ، أرضها و بلادها ، هذا زمانه ، فمن أدركه واتبعه أصاب حاجتـــه ، ومـــن

---

(١) المصدر السابق

(٢) سيرة ابن هشام حـــ ١ص ١٩٤

(١) محمد رسول الله ص ٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام حـــ ١ص ١٦٧.

خالفه أخطأ حاجته ، وأن نجمه طلع البارحة " حتى إذا ولد محمد قال الراهب لعبد المطلب جد الرسول: احفظ لسانك فإنه لن يحسد حسده ولن يبغى على أحد كما يبغى عليه ، وإن طال عمره لا يبلغ السبعين ، يموت في إحدى وستين أو ثلاث وستين .

وروى ابن هشام [٢] أن حليمة السعدية ردت الرسول إلى أنه وأخبرتها أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به فطامته ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه ، وقبلوه ، ثم قالوا لها : لتأخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا ولبلدنا ، فان هذا الغلام كائن له شأن ، نحن نعرف أمره .وأسرعت حليمة تهرب بالطفل الصغير العظيم .

جاء في كتاب (الإنجيل والصليب) تأليف الأب عبد الأحد داود الأشوري العراقي ، مطران الموصل في عهد السلطان عبد الحميد ، في صفحة ٣٣ في الباب الثاني : " أن المبشر لوقا يبشر بالإسلام وبأحمد ، فقد جاء في لوقا أنه ظهر في الليلة التي ولد فيها المسيح عليه السلام جمهور من الجنود السماوية للرعاة الذين كانوا في البرية يترنمون بهذا النشيد (لوقا ٢:١٤) " الحمد لله فله الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وللناس أحمد " .

وفي الترجمة العربية لهذه الآية " المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ". والمؤلف يعلم هذا وقد نقله ، ولكن يقول أن الأصل الصحيح هو ما قاله : إسلام وأحمد .

واستطرد المؤلف المطران عبد الأحد داود في الفصل الثالث وما بعده (ص٤٥) إلى ترجمة كلمة (ايادوكيا) التي معناها أحمد ، وقد ساعده علمه باللغات السريانية والعبيرية واليونانية القديمة .

ومعلوم أن اسم أحمد هو صفة تفضيل من الحمد ، وهو الذي يقـع منه الحمد أكثر مما يقع من غيره ، واسم محمد صفة مبالغة من التحميـد ، والثلاثة من أسماء النبي ﷺ .

وجاء في صفحة ٨٦ من الكتاب نفسه : " يقول يوحنا ١٦:٢٩ أن المسيح إلى آخر ليلة كان يكلم تلاميذه بالأمثال ووعد أن البارقليط المرسـل من طرف الله والذي سيأتي بعده سيفسر ويبين كلامه وإنجيله الحقيقـي " . وكلمة (بارقليط) أو (فارقليط) يونانية قديمة ومعناها المعـين ، والمـدافع ، والنصير ، والمواسى .

وبديهي أن المسيح لم ينطق بهذه الألفاظ بنصها لأنها عربية ، وهو كان يتكلم بالعبرية ، أضف إلى هذا أن الألفاظ التي نطق بها المسيح ضـاعت وكل اعتمادنا على ترجمة يونانية للإنجيل . وقد ذكرت كلمـة (بـارقليط) و(ايفادوكيا) التي يراد بها اسم في حين أن الترجمة الحرفية لكلمة بـرقليط هي كما أسلفنا النصير أو المواسى والثانية تدل صراحة على معنى الحمـد عن طريقـي الحقيقـة والمجـاز ، ولأن النـصير والمواسـى يـستحق الحمد والثناء .

غير أن الذي يدعم التفسير ويدل على أن المقصود بالبارقليط هـو محمد رسول الله استقراء الصفات التي وردت في إنجيل يوحنا ١٤: ٦و١٦ فإنها تنطبق على النبي العربي ، ويؤيد هذا الرأي أن المسيح كان يخاطـب حواريه الرموز والأمثال ، فقد جاء في وصف البارقليط أنه سـيبقى إلـى الأبد ، وهذا هو المُشاهد في رسالة محمد وشريعته ، فإنه خاتم الأنبياء ، ولم يأت ولن يأتي بعده رسول بتشريع عالمي .وموصوف بأنه يُعَلم أمتـه كـل شيء ، وقد جاء محمد بدين كامل وتشريع تام .

وأوضح من هذا كلمات يوحنا ١٦: ١٢- ١٤ على لـسان المـسيح نفسه : " لا تزال عندي أشياء كثيرة أقولهـا ، ولكـنكم لا تحتكمونهـا أو تطيقونها .عندما يجيء روح الحق فإنه سوف يرشدكم إلى الحـق ويـدلكم عليه ، لأنه لن يتكلم عن نفسه ، ولكنه سوف يمجدني" [٣١]

عدد المؤرخ الهندى المسلم مولاى محمد على [٣٢] كثيرا من آيـات الإنجيل ، وكلها تبشر بظهور محمد ﷺ ، فقد جـاء فـي إنجيـل يوحنـا ، الإصحاح الرابع عشر ١٣-١٥ : (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم معزيا آخر، ليمكث معكم إلى الأبد: روح الحق) وجاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦:٧ (لكي أقول لكم الحق، انه خير لكـم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم) .وجاء في إنجيل يوحنا أيضًا الإصحاح ١٤-٢٦(أما المعزى الروح القـدس الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء). ثم يقول المؤرخ مولاى محمد على: وجميع هذه النبوءات تشير بوضوح لا ريب فيه إلى مجيء نبي بعد المسيح.

الرسول وورقة بن نوفل:

ورقة بن نوفل شيخ وقور، ارتبط تاريخه بظهور الإسلام، ونـزول الوحي على الرسول ﷺ. وينتمي إلى بيت من أشرف بيوت قريش هو بيـت عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد، أول من آمنت من النساء، وشريكة الرسول في الجهاد

---

[٣١] انظر كتاب ثورة الإسلام للطفي جمعة ص ٢١٧

[٣٢] محمد رسول الله ص ٣٥.

قبل ظهور الإسلام، ظهر من بين العرب جماعة مـستنيرة نبـذت الوثنية، فاعتنق بعضهم المسيحية أو اليهودية، واعتنق البعض الأخر الحنيفية فعملوا على إحياء دين إبراهيم الحنيف وهو دين التوحيد. وكان ورقة ممـن اعتنقوا المسيحية، وقرأ التوراة والإنجيل، وكتب العبرانية، وأصـبح أعلـم رجال مكة بالنصوص المقدسة وشاركته أخته(قتيلة بنت نوفل) ميوله الأدبية والدينية واطلعت على الكتب القديمة .

آثر الرسول ﷺ العزلة، وألف النسك والعبادة، فكان يذهب قبل نزول الوحي إلى غار حراء، يتحنث فيه ويتأمل عجائب الكون، ويفكر في البعـث والحساب والجنة والنار. وفي غار حراء نزل الوحي على الرسول، وعـاد إلى خديجة وهو يرتجف، وأخبرها بما كان من نزول جبريل عليه الـسلام، وأسرعت خديجة تزمله وتدثره، وتطمئنه وتبث السكينة في نفسه، ثـم رأت أن تخرج لتقص ما سمعته من الرسول على ابن عمها ورقة، وكانت تعلـم مدى علمه واطلاعه، وما يتحدث به عن قرب ظهور نبي مرتجى.

وقصدت خديجة بيت ورقة، وكان حينئذ شيخاً طاعناً فـي الـسن، ضعيف الحركة، أعشى البصر، حتى إذا انتهت خديجة من حـديثها، شـعر ورقة بالفرح والسرور وصاح: قدوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده لـئن كنت صدقتني يا خديجة فلقد جاء الناموس الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت.

وبينما الرسول يطوف بالكعبة، سارع ورقة إليه، رغـم شـيخوخته وضعفه، وطلب منه أن يقص عليه قصته بنفسه وقص الرسول عليـه مـا حدث، وتبين ورقة صحة كلامه، فأعاد على سمعه التنبؤ التي أخبـر بهـا خديجة من قبل وأضاف : يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجـك قومـك.فقـال

الرسول: أو مخرجي هم ؟ فأجاب ورقة: نعم، لم يأت رجل بما أتيت به إلا عودي، ولئن أدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا.ولكن المنايا لم تمهـل ورقة حتى تحقق أمنيته .

هجرة المسلمين إلى الحبشة المسيحية:

اشتد عذاب قريش للمسلمين، فكانوا يضربونهم ويضعون الـصخور العظيمة على صدورهم في شدة الحر، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا .هذا ورسول الله ﷺ يدعوا إلى الله ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهرًا، لا يصده عن ذلك صاد. ولما رأى الرسول ما نزل بأصحابه من تعذيب واضطهاد ، سمح لهم بالهجرة إلى الحبشة، فقد كان ملكها يشتهر بالتسامح والعدل.

لم يفكر الرسول في هجرة المسلمين إلى أحد القبائل العربية، لأنهـا كانت ترفض دعوته في مواسم الحج مجاملة لقريش أو تمسكا بدينها الوثني. وكذلك لم يفكر في الهجرة إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والمـسيحيين من العرب، لأن كلا من الجاليتين اليهودية والمسيحية كانت تتازع الأخرى وتنافسها في النفوذ الأدبي ببلاد العرب، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافـسا **ثالثا:** أما اليمين ــ وكانت مستعمرة للفرس الذين لم يدينوا بدين سماوي ــ فلم يطمئن الرسول إلى الالتجاء إليها. أما الحيرة وبلاد الشام فكانت بعيـدة غاية البعد عن مكة، كما أن كلا من الشام واليمن والحيرة كانت أسواقا هامة لتجارة قريش. وكانت لقريش بكل منها صلات وثيقـة ومـصالح متبادلـة وزيارات في أوقات منتظمة، فإذا علمت قريش أن المسلمين في بلد منهـا، طلبت إلى أهل ذلك البلد إن يردوهم إليهم ويخرجوهم منها، كما حاولت ذلك مع النجاشي لولا تسامحه وعدله [1].

هاجر المسلمون إلى الحبشة مرتين ، وكان لهذه الهجرة أثر كبير في نشر الإسلام وترغيب الناس فيه ، فقد ذاع بين العرب أن فريقًا من القرشيين هاجروا إلى الحبشة فرارًا بدين تلقوه عن نبي بمكة، وبذلك سمع عن الـــدين الإسلامي ما لم يسمع به من قبل، كما أنه كان لخروج هذه الجماعة أثر في تجفيف حدة عداء قومهم، إذ رأوا فريقًا يشترك معهم في العروبة قد أصـــبح مضطهدًا، أوذي في دينه حتى اضطر أن يهاجر إلى مكان بعيد [٢].

[٣٣] غضبت قريش لهجرة المسلمين إلى الحبشة، فبعثت وفدًا محمـــلاً بالهدايا الفاخرة يطلب من نجاشي الحبشة رد المهاجرين إلى مكـــة، ولكـــن النجاشي كان بعيد النظر، فطلب من المهاجرين أن يحدثوه عن حقيقة دينهم، فشرحوا له تعاليم الإسلام، فبكى النجاشي وقال: إن هذا والذي بـــه عيـــسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا لأسلمهم إليكما ورجع وفد قريش يجر أذيال الخيبة [٣٤] .وظل المهاجرون في الحبشة حتى هاجر الرسول إلى المدينة فعاد معظمهم .

موقف الرسول من المسيحيين:

كان في الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ أديان أربعة:

(١) الإسلام، وهو دين الدولة الحنيف، وعقيدة الغالبية العظمى مـــن أهالي الدولة .

---

[٣٣] - حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام حـــ ١ص ٨٧- ٨٨

٢- جمال سرور : قيام الدولة العربية ص٦٦

[٣٤] سيرة ابن هشام حـــ١ ص ٢٦٠ .

(٢) اليهودية وكانت دين بعض أهالي اليمن في الجنـــوب وبعـــض أهالي الشام في الشمال .

(٣) النصرانية، واعتنقها بعض أهالي اليمن وخاصـــة فـــي مدينـــة نجران . وبعض أهالي الشام

(٤) المجوسية، وقد اعتنقها بعض أهالي البحرين .

ورغم اختلاف هؤلاء عن معظم رعايا الدولة في الـــدين، فقـــد كانت الدولة تعاملهم معاملة عادلة، فتمتعوا بالحقوق الوطنية التي تمتع بهـــا المسلمون، فكان لهم فيها ما للمسلمين من حقوق، وعليهم مـــا علـــيهم مـــن واجبات. وجعل الإسلام أهل هذه الأديان أخوة للمسلمين في الوطن العربي، فقد كان نظام الدولة يقضى بأن يعاملوا فيها مثلهم ليشعروا بأن لهـــم دولـــة واحدة تجمعهم، ووطناً واحداً يؤلف بينهم، وقانوناً واحداً يخضع له الجميع.

ويذكر المؤرخ (توماس أرتولد) أن محمداً قد عقد حلفاً مـــع بعـــض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمـــن وطمأنينة. وقد وحد حلف كهذا بين أتباع النبي ومواطنيهم، مما جعل هؤلاء المواطنين يظهرون ولاءهم للحكومة الجديدة.

أثبت معاملة الرسول- ﷺ - لأهل الذمة أن الإسلام دين التـــسامح، الذي يحرص على حقوق الإنسان.وكانت رسالة محمد ﷺ إلى رهبان ديـــر سانت كاترين في جبل سيناء دليلا ناصعا على تسامح الحكومة الإســـلامية الوليدة في معاملة رعاياها من غير المسلمين، مهما كان دينهم. وقد حرص

الرسول ﷺ على أن يملى رسالته على مسمع من صحابته ليعلم الجميع ما يخص الإسلام عليه من تسامح. وهذه هي بعض فقرات هذه الرسالة الكريمة:

(هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وأمين الخلق أجمعين لوديعة الله في خلقه، كي لا تكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا. كتبه لمن هم على دينه عهدًا لأولئك القوم الذين هم على دين النصرانية من مشارق الأرض إلى مغاربها، بعيدهم وقريبهم، عربيهم وعجميهم ، معلومهم ومجهولهم .. فمتى كان راهب أو سائح مجتمعًا في جبل أو واد أو مغارة أو معمورة أو سهل أو كنيسة أو معبد، فنحن من ورائهم وأني لاذب عنهم بنفسي والموالي وأنصاري وشعبي، هم وأموالهم وأثوابهم، إذ أنهم من رعيتي وأهل ذمتي، وادفع عنهم كل ما يكدرهم من تلك الأثقال التي نعطيها أهل العهد، فلا يعطون إلا ما طابت لهم نفوسهم من الأشياء خراجًا، ولا يكدرون ولا يكون عليهم جبر ولا إكراه، ولا يتغير من كان عليهم قضاة منهم عن وظيفتهم، ولا رهبانهم عن رهبانيتهم، ولا أرباب الخلوات عن الإقامة في صوامعهم. ولا يسلب أحد سياحهم، ولا يهدم بيتًا من بيوت كنائسهم ولا يتلفه، ولا يدخل شيء منها إلى بيوت المسلمين. وكل ما أخذ شيئًا من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله وخالف رسوله حقيقة)

(ولا يطرح خراج على قضاتهم ورهبانهم، ولا من كان مشغولا في العبادة منهم، ولا شيء آخر غرامة كان أو خراجًا أو مظلمة أخرى. فإني أنا أحفظ ذمتهم في البحر والبر، والمشرق والمغرب والشمال والجنوب، أينما كانوا، وهم في ذمتي وميثاق أمان من جميع الأشياء التي يكرهونها، فلا يؤخذ خراج أو إعشار ممن يتعبد في خلوة في الجبال ولا ممن يزرع في

تلك الأراضي المباركة، ولا أحد يشاركهم في طريقهم ولا يـشترك معهـم بدعواه إن ذلك لغيرهم. ويعطى لهم من اوقات المواسم من كل أردب قـدحًا لأجل مأكولهم فلا يقال لهم أن هذا كثير. ولا يطالبون بخراج، ولا يؤخذ من ذوى الخراجات أيضًا، ولا من الأغنياء وأرباب التجارة زيادة عـن الحـد المعين. ولا يكلفهم أحد إلى سفر، ولا يلزمهم إلى حرب أو نقل سلاح)

إنما المسلمون يحاربون عنهم، ويجادلونهم على أحسن وجه إتباعًـا للآية (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ) فيعيشون مرحومين، ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم من كل راع أينما كانوا أو فـي أي محل نزلوا. وإذا تزوجت نصرانية فلا يكون ذلك إلا برضا تلك المرأة، ولا تمنع من الذهاب إلى كنيستها لأجل الصلاة. وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها، ولا من حرمة أديرتهم، ولا يلتزمون بنقل سلاح أو حمل حجارة، وإنما المسلمون ينبون عنهم، و لا أحد من الأمة يخالف هذا العهد إلى يـوم القيامة وانقضاء الدنيا"

كانت هذه الرسالة دستورًا حكما، وضعه الرسول ﷺ، واتبعه سـائر الخلفاء والأمراء والولاة في الدولة الإسلامية، فعاش أهل الذمـة ترفـرف عليهم رايات التسامح والعدل والحرية والإخاء.

الرسول والدولة الرومانية المسيحية :

كان المسلمون يعطفون على أهل الكتاب من يهود ونصارى، وكانوا يتمنوا انتصارهم على الوثنين والمجوس. فلمـا كانـت جحافـل الفـرس والمجوس تكتسح ممتلكات الدولة الرومانية المسيحية، في آسيا ومصر، ولما

وقفت تدق أبواب بيزنطة، عاصمة الإمبراطورية، ولمـا لاحـت الـساعة الرهيبة، ساعة انهيار الدولة الرومانية، نزل الوحي مؤكدا انتصار الرومان في النهايـة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [٣٥].

وقد تحققت النبوءة، ففي عام بدر انتصر المسلمون، واستعاد الروم ما فقدوه من ممالك.

لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل أن للعالم كله نصيبًا منه.ولما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير ديـن واحد يدعى إليه الناس كافة. ولكي تكون هذه الدعوة عامة، وتحدث أثرهـا المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب، نراها تأخذ صورة عملية فـي الكتب التي بعث محمد بها في السنة السادسة مـن الهجـرة (٦٢٨) م إلـى عظماء وملوك هذا العصر. في هذه السنة بعث الرسول كتبًا إلـى هرقـل إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) وإلى كسرى فارس، وإلـى حاكم اليمن، وإلى حاكم مصر المقوقس، وإلى نجاشي الحبـشة، وغيـرهم. وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحًا وأشد صراحة على ما تردد ذكره فـي القرآن من مطالبة الناس جميعًا بقبول الإسلام؟"

لم يضع انتشار المسيحية بين الرومان حدًا للخلاف الديني، فظهـر الاختلاف المذهبي نتيجة العداء بين الأرثوذكسية والكاثوليكية مـن جهـة،

[٣٥] سورة الروم آية ١-٤ .

والخلاف حول طبيعة المسيح وصفته من جهة أخرى، وخاصة أن الأباطرة تدخلوا في هذا الخلاف المذهبي، فعقد الإمبراطور البيزنطي مجمعًا في خلقيدونية بآسيا الصغرى سنة ٤٥١ م وقرر أن المسيح طبيعتين، وأن مذهب الكنيسة القائل بأن المسيح طبيعة واحدة كفر، ولذا قرر حرمان بطريرك الإسكندرية. وعارض المصريون المسيحيون هذا القرار وأطلقوا على أنفسهم اسم الأرثوذكسيين ومعناها في اللغة اليونانية أتباع الدين الصحيح، بينما أتباع الكنيسة الرومانية البيزنطية يسمون باسم الملكانيين لأنهم يتبعون مذهب الملك أي الإمبراطور، وكان يطلق أحيانا على الأرثوذكسيين المصريين اسم اليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعى أسقف الرها، كما كان اليعاقبة يسمون أيضًا (المونوفيزيت **Monophgsite** أى أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، بينما كان الملكانيون ينادون بأن للمسيح طبيعتين

كانت هذه الاضطهادات التي قاسى المصريون الكثير منهم، سببًا مباشرًا للتمهيد للدولة الفارسية للاستيلاء على مصر سنة ٦١٦ م، واستمر الاحتلال الفارسي لمصر إلى سنة ٦٢٩م حينما غزا الإمبراطور البيزنطي هرقل الدولة الفارسية فاضطر الفرس للجلاء من مصر.

حاول هرقل بعد تغلبه على الفرس أن يعيد إلى الدولة البيزنطية وحدتها، فأصدر (صورة توفيق **Monothema**) ومنع الناس من الحديث في طبيعة المسيح، ورأى أن يعترف الجميع بأن المسيح إرادة واحدة، وحاول هرقل أن ينشر هذا المذهب الجديد في مصر، فولى على حكمها (المقوقس) وأسند له السلطة السياسية والرئاسة الدينية معًا سنة ٦٣١م .وخير المقوقس المصريين بين أمرين: إما اعتناق مذهب هرقل الجديد، أو الاضطهاد. وأبى المصريون الأمر الأول، فبدأ المقوقس سياسة الاضطهاد، وهرب البطريرك القبطي بنيامين.

كان هرقل إمبراطور الدولة الرومانية في مقدمة من وجه الرسول ﷺ دعوته إليهم لاعتناق الإسلام، باعتباره إمبراطورًا لدولة من الدولتين العظيمتين في العالم القديم.فبعث الرسول إليه برسالة دعاه فيها إلى الإسلام ووعده بثواب الله وحذره من تضاعف الإثم عليه في حالة الرفض.

جاء في كتاب الرسول إلى هرقل:" بسم الله الرحمن الرحيم- من محمد رسول الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان تتول فإنما عليك إثم اليريسين[٣٦]

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤) بعث الرسول هذه الرسالة مع دحية بن خليفة الكلبي إلى عامل هرقل في بصرى الحارث بن أبى شمر الغساني، وعندما وصل إليه أرسله بخطابه إلى هرقل ليسلمه له بيده، وكان قد خرج من حمص في طريقه إلى القدس فوافاه دحية في مدينة إيليا (بيت المقدس) وسلم إليه الخطاب وترجم له فلم يجد فيه غير دعوة الله خالصة، فأكرم الرسول ورد عليه ردًا حسنًا، ثم أخذ يستقصى عن أمره ويسأل عن خصومه حتى اهتدى إلى أبى سفيان وكان إذ ذاك في تلك المدينة في تجارة له فجاء به وسأله أن يقول الصدق وتوجه إليه ببعض الأسئلة .

هرقل: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ؟

أبو سفيان: أيها الملك ما يهمك من أمره؟

---

[٣٦] ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص٤٨.

هرقل: أنبئني عما أسألك من شأنه ولا تزد .

أبو سفيان: سل ما بدا لك .

هرقل: كيف كان نسبه فيكم ؟

أبو سفيان: هو فينا ذو نسب .

هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

أبو سفيان لا.

هرقل: فهل كان من آبائه ملك ؟

أبو سفيان : لا .

هرقل : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟

أبو سفيان: ضعفاؤهم .

هرقل : أيزيدون أم ينقصون ؟

أبو سفيان : بل يزيدون .

هرقل : هل يرتد أحد منهم سخطه لدينه بعد أن يدخل فيه؟

أبو سفيان : لا .

هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

obeikan.com

أبو سفيان: لا .

هرقل: هل يغدر ؟

أبو سفيان: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها (قال أبو سفيان: ولم أتمكن من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة) .

هرقل: فهل قاتلتموه؟

أبو سفيان: نعم .

هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟

أبو سفيان: الحرب بيننا سجال ينال منا وننال منه.

هرقل: فماذا يأمركم به؟

أبو سفيان: يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقـول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

هرقل(للترجمان) : قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القـول قبله فلو قلت نعم لقلت رجل يتأسى بقول ما قيل قبله، وسألتك هل كان مـن آبائه من ملك فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من ملك قلت رجـل يطلـب مُلك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فـذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسـألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أنهم ضعفاؤهم وكذلك أمر الإيمان

حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطه لدينه بعد أن يدخل فيـــه فـــذكرت أن لا وكذلك الإيمان حتى تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغـــدر ويـــأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقوله حقًا فـــسيملك موضـــع قـــدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أعلم أني أخلص إليه لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه، انطلق لشأنك!

قال أبو سفيان: فخرجت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول لقد بلغ من أمر هذا الرجل حتى أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام وما زلت مرعوبًا من محمد حتى أسلمت.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له في رومية، وكان نظيره فـــي العلـــم يخبره بأمر الكتاب الذي جاءه من محمد وسار هو إلى حمص وهناك وافـــاه الرد من صاحبه يوافقه على رأيه. فجمع عظماء الروم في مقصورة له وقال لهم: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد أن يثبت ملكم فتبايعوا هـــذا النبي ففروا منه ءهرعوا إلى الأبواب فدعاهم أن يفصحوا بالجواب فقالوا له: أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيدًا لأعرابي ؟ فلما رأى نفرتهم وأيس من إيمانهم قال: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم.فـــسجدوا لـــه ورصوا عنه.فبقي على دينه.وإن لم يقف موقفا معاديًا للإسلام.ويدلل بعض الكتاب على ذلك بحادثتين. **أولهما** حينما كتب إليه الحارث بن أبـــي شـــمر الغساني عامله بدمشق بعد ذلك يستأذنه بحرب رسول الله لم يأذن له بـــذلك وأمره أن يتغافل عنه.

والحادثة الثانية عندما بلغ هرقل أن النجاشي قد أسلم ورفـض أن يدفع له ما كان يدفعه له من الخراج لم يغضبه حتى قال البتاق، أتدع عبدك لا يخرج لك خرجًا ويدين بدين غيرك دينًا محدثًا؟ فأجاب هرقـل: رجـل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضن بملكي لـصنعت كما صنع. وعلى الرغم من عطف المسلمين على الدولة الرومانيـة خـلال حروبها مع الفرس، قد وقعت بينها معركة في مؤته[٣٧] .

ولما بلغ الدولة الرومانية أن جزيرة العرب كلها قد دانت الإسـلام، ثارت الغيرة الدينية، فقد كانوا يمنون النفس بتنصي شبه الجزيرة العربيـة كلها، فعقدوا العزم على وقف الإسلام الزاحف، والقضاء على الدولة العربية الإسلامية. وعلم الرسول ﷺ أن الدولة الرومانية تهيئ جيوشًا لغزو حـدود العرب ، فعمل النبي على تجهيز حملة ليسيرها إلى حدود سورية، واستنفر النبي جميع القبائل العربية للذوذ عن ديارهم، فقد كان خطر الغزو يهدد بلاد العرب جميعا [٣٨].

بين الرسول والمقوقس:

وجه الرسول برسالة إلى المقوقس حاكم مصر الروماني، واسـمه (جريج بن ميناء)، وكان هرقل قد بعثه إلى مصر لجمع الجزية ليستعين بها على الحروب المستمرة بين الفرس والرومان [٣٩].

---

[٣٧] ابن الاثير: أسد الغابة حـ ٢ص ١٠٢ .

[٣٨] – مولاى محمد على : محمد رسول الله ص١٦٩

[٣٩]– أرفنح: حياة محمد (من ترجمتنا) ص٢٠٧.

جاء في كتاب الرسول ﷺ: " **بسم الله الرحمن الرحيم** من عبـــد الله ورسوله محمد إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى ، أمـــا بعد: فإني أدعوك بدعوة الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مـــرتين، فـــان توليت فعليك أثم كـــل القـــبط (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤).

بعث الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الرسالة مع حاطب بن أبى بلتعه فالتقى بالمقوقس في الإسكندرية، حيث أكرمه وأحسن استقباله، وقـــال المقوقس له قد كنت أعلم أن نبيًّا قد بقى، وقد كنت أظن أن مخرجه الشام ، وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في العرب فـــي أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في إتباعه، ولا أحب أن يعلم بمحـــاورتي إياك .

كتب المقوقس ردًا جاء فيه " لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكر فيه وما تـــدعو إليه وقد علمت أن نبيًّا قد ، بقى، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام "

وبعث المقوقس بهدايا إلى الرسول، منها جاريتان شقيقتان،هما مارية و سيرين وقد دخل الرسول بمارية وأنجب منها إبراهيم، وأعطي أختها إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. وتذكر بعـــض الروايـــات أن هـــذه الهدايا ضمت بعض المنسوجات، والعسل، وبغلة شهباء تسمى دلدل، وبغـــل أشهب يسمى يعفور وتضيف رواية طبيبًا رده الرسول وقال:ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا كلنا لا نشبع .